QUALITATIVE RESEARCH JOURNAL FOR SOCIAL STUDIES
ISSN Online: 3006-4686, ISSN Print: 3006-4678
Volume No: 03 Issue No: 01 (2026)

The Architecture of Justice: From Cosmic Order to Moral Formation in Qur'anic and Prophetic Discourse – A Thematic and Stylistic Study

من نظامِ الأفلاكِ إلى بناءِ الأخلاق – تشكّلات العدلِ في الخطابِ القرآنيّ والنبويّ ﷺ: دراسة موضوعية فنية

الدكتورة ياسمين أختر * الدكتور قاسم عزام بهٹہ *

Abstract

This study explores the manifestations of justice in the Qur'anic and Prophetic discourse, presenting justice as a comprehensive cosmic, ethical, and civilizational principle that governs the order of existence and shapes human conduct. It takes the concepts of the Measure (al-Mikyāl) and the Balance (al-Mīzān) as interpretive models to demonstrate how the revealed texts elevate them from physical instruments of measurement to profound symbols of equity, linking the harmony of the universe with the integrity of moral life. Employing a thematic and analytical approach, the study traces the linguistic origins and semantic development of these concepts and examines their Qur'anic and Prophetic usages. It highlights the intrinsic relationship between the order of the cosmos and the construction of ethical character, as well as between the balance of creation and the balance of the human conscience. The Qur'an presents justice as a divine law embedded in the fabric of creation and commands its realization in social relations, legal judgments, and human interactions, while the Prophetic Sunnah embodies these principles through sincerity, moral refinement, and ethical responsibility. The study concludes that justice in the Islamic worldview is not merely a legal norm or an isolated moral virtue; rather, it constitutes an integrated civilizational framework in which the laws of the universe, the objectives of the Sharīʿah, and the moral formation of humanity converge. Within this framework, the Measure and the Balance emerge as enduring symbols of the divine order through which the heavens remain in harmony, human character is refined, and societies flourish.

Keywords: Justice; Measure (al-Mikyāl); Balance (al-Mīzān); Qur'anic Discourse; Prophetic Discourse; Equity (Qisṭ); Cosmic Order; Ethics; Moral Responsibility; Islamic Thought.

* الأستاذة المساعدة ، قسم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، باكستان.
* الأستاذ المساعد، قسم اللغة العربية، الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد، باكستان.

QUALITATIVE RESEARCH JOURNAL FOR SOCIAL STUDIES
ISSN Online: 3006-4686, ISSN Print: 3006-4678
Volume No: 03 Issue No: 01 (2026)

المقدمة

حين يتأمل الإنسان صفحة الكون، يرى الأفلاك تمضي في مداراتها بانتظامٍ مهيب، لا تتقدم عن مسارها ولا تتأخر، وكأنها تُنشد في صمتها الأزلي نشيدَ التوازن والاعتدال. ذلك أن الوجود لم يُبنَ على الفوضى، وإنما أُسِّس على نظامٍ محكم، وقانونٍ دقيق، وميزانٍ قائمٍ بالقسط. ومن هذا النظام الكوني الممتد في أرجاء السماوات والأرض، تنبثق إحدى أعظم القيم التي جاء الوحي لترسيخها في حياة الإنسان، وهي قيمة العدل.

ولم يكن العدل في التصور الإسلامي مبدأً قانونيًا مجردًا أو قيمةً أخلاقيةً معزولة، بل كان روحًا ساريةً في بنية الوجود كلها؛ فالسماء قائمةٌ على ميزان، والأرض قائمةٌ على ميزان، والإنسان مأمورٌ أن يقيم حياته على ميزان. ومن هنا جاءت النصوص القرآنية والنبوية لتربط بين انتظام الكون واستقامة السلوك، وبين التوازن في الخلق والتوازن في التشريع، حتى غدا العدل محورًا تدور حوله حركة الإنسان في علاقته بربه، وبنفسه، وبالآخرين.

ويُعدُّ الخطاب القرآني والنبوي من أغنى الحقول الدلالية التي تجلّت فيها معاني العدل وتجسداتها المتعددة؛ إذ ظهر العدل فيهما بوصفه قيمةً تشريعيةً تنظّم المعاملات، ومبدأً أخلاقيًا يوجّه السلوك، وقانونًا كونيًا يحفظ نظام الوجود، ومقامًا روحيًا يزكّي النفس ويهذب الضمير. وقد تنوعت الألفاظ والصور والتراكيب التي عبّرت عن هذه القيمة المركزية، مما أكسب مفهوم العدل ثراءً دلاليًا واتساعًا معرفيًا يستحق الدراسة والتأمل.ومن هذا المنطلق، يسعى هذا البحث الموسوم بـ«من هندسة الأفلاك إلى هندسة الأخلاق: تشكّلات العدل في الخطاب القرآني والنبوي» إلى استكشاف البنية الدلالية لمفهوم العدل في النصوص القرآنية والنبوية، والكشف عن أبعاده التشريعية والأخلاقية والروحية، وتتبع الصلات العميقة التي تربط بين نظام الكون وبناء الإنسان، وبين ميزان الوجود وميزان الضمير، بما يبرز شمولية الرؤية الإسلامية للعدل بوصفه نظامًا للكون والحياة والإنسان.

إشكالية البحث

ينطلق هذا البحث من إشكاليةٍ رئيسة تتمثل في:

* كيف تشكّل مفهوم العدل في الخطاب القرآني والنبوي بوصفه نظامًا يجمع بين انتظام الكون وبناء الأخلاق، وما الدلالات اللغوية والتشريعية والروحية التي أسهمت في تكوين هذا المفهوم الشامل؟
* ويتفرع عن هذه الإشكالية عدد من التساؤلات الفرعية:
* كيف صوّر القرآن الكريم العدل بوصفه قانونًا كونيًا يحكم نظام الوجود؟
* ما الأبعاد الدلالية والأخلاقية التي اكتسبها مفهوم العدل في الخطاب النبوي؟
* كيف تتكامل الرؤية القرآنية والنبوية في بناء مفهوم العدل بوصفه قيمةً حضاريةً شاملة؟
* ما العلاقة بين العدل الظاهر في التشريعات والمعاملات والعدل الباطن المرتبط بالنية والضمير؟
* كيف أسهم البناء اللغوي والبلاغي في النص القرآني والنبوي في ترسيخ مفهوم العدل وتعميق أثره في الوعي الإنساني؟
* إلى أي مدى يمكن النظر إلى العدل في الإسلام بوصفه امتدادًا لنظام كوني شامل يربط بين انتظام العالم واستقامة الإنسان؟

QUALITATIVE RESEARCH JOURNAL FOR SOCIAL STUDIES
ISSN Online: 3006-4686, ISSN Print: 3006-4678
Volume No: 03 Issue No: 01 (2026)

أهمية البحث

تنبع أهمية هذا البحث من جملة من الاعتبارات العلمية والمعرفية والحضارية، من أبرزها:

إبراز مركزية العدل في الرؤية الإسلامية بوصفه أحد المقاصد الكبرى التي يقوم عليها الدين والحياة.الكشف عن الأبعاد الدلالية والبلاغية لمفهوم العدل في القرآن الكريم والسنة النبوية، وإظهار ثراء الخطاب الإسلامي في معالجة القيم الإنسانية الكبرى.بيان الترابط بين النظام الكوني والتشريع الأخلاقي في التصور الإسلامي، بما يعكس وحدة الرؤية القرآنية للإنسان والكون والحياة.الإسهام في الدراسات القرآنية والدلالية المعاصرة من خلال مقاربة تجمع بين التحليل اللغوي والتفسير الموضوعي والبعد القيمي.إبراز دور العدل في بناء الفرد الصالح والمجتمع المتوازن، وتأكيد حضوره بوصفه أساسًا للاستقرار الاجتماعي والنهضة الحضارية.تقديم قراءة علمية تُسهم في تجديد الوعي بالمفاهيم القرآنية الكبرى وربطها بالتحديات الفكرية والأخلاقية المعاصرة.بيان أن العدل في الإسلام ليس مجرد نظام قانوني، بل هو منظومة متكاملة تمتد من انتظام الأفلاك في الكون إلى استقامة الأخلاق في الإنسان.

وقد أولى القرآن الكريم عنايةً بالغةً ل للمكيال والميزان ، فارتبطا في سياقه بالقيم الأخلاقية الكبرى، وعلى رأسها العدل، والوفاء بالحقوق، والتحذير من الظلم والتطفيف. ومن هنا انتقل المكيال والميزان من كونهما مجرد أداتين ماديتين إلى كونهما مفهومين اصطلاحيين يحملان أبعادًا تشريعية وأخلاقية وروحية، تُنظِّم علاقة الإنسان بغيره، وتؤسس لمجتمعٍ قائمٍ على القسط والاستقامة.وعليه، فإنّ هذا التمهيد يسعى إلى استكشاف المسار الدلالي لهذين المصطلحين، بدءًا من جذورهما اللغوية في المعاجم العربية، مرورًا بتطوّرهما في الاستعمال القرآني، وصولًا إلى الأفق الاصطلاحي الذي اكتسباه في مجالات الفكر الإسلامي، حيث أصبحا يعكسان منظومةً متكاملةً من القيم والمعايير التي تضبط حياة الفرد والمجتمع على حدٍّ سواء.

التمهيد: العدل في الرؤية الإسلامية: من الدلالة اللغوية إلى الأفق الحضاري

لا يُمثّل العدل في الرؤية الإسلامية قيمةً أخلاقيةً جزئيةً أو حكمًا تشريعيًا منفصلًا عن سائر مقاصد الدين، بل هو المبدأ الذي تنتظم به حركة الوجود، وتستقيم به حياة الإنسان، وتتآلف في ظله علاقة الخالق بالمخلوق، والإنسان بنفسه، وبغيره، وبالكون من حوله. فالقرآن الكريم لا يقدّم العدل بوصفه قاعدةً قانونيةً فحسب، وإنما يجعله سُنّةً إلهيةً أُقيمت عليها السماوات والأرض، وغايةً من غايات الرسالات، وأساسًا تقوم عليه الحضارة الإنسانية، حتى يغدو العدل في التصور الإسلامي روحًا تسري في بنية الكون كما تسري في ضمير الإنسان.

ومن هذا المنطلق، تتجاوز الدلالة القرآنية للعدل حدود الإنصاف في الخصومات أو الاعتدال في المعاملات، لتفتح أفقًا معرفيًا واسعًا تتداخل فيه المعاني اللغوية والشرعية والأخلاقية والروحية والحضارية. فكل لفظٍ من الألفاظ المؤسسة لهذا المفهوم، كالقسط، والميزان، والحق، والوسط، والاستقامة، يحمل جانبًا من هذا البناء الدلالي المتكامل، ويكشف عن وجهٍ من وجوه النظام الذي أراده الله تعالى للكون والإنسان.

ولذلك، فإن تتبع الجذور اللغوية لهذه المفاهيم لا يُراد به الوقوف عند حدود الاشتقاق والمعنى المعجمي، وإنما يُقصد به الكشف عن تطور الدلالة وانتقالها من المجال الحسي إلى المجال القيمي، ومن دائرة الألفاظ إلى منظومة التصور الإسلامي الشامل. فاللغة العربية، بما تمتاز به من ثراءٍ دلالي واتساعٍ بياني، كانت الوعاء الذي احتضن هذه المفاهيم،

QUALITATIVE RESEARCH JOURNAL FOR SOCIAL STUDIES
ISSN Online: 3006-4686, ISSN Print: 3006-4678
Volume No: 03 Issue No: 01 (2026)

ثم جاء القرآن الكريم فارتقى بها، وأعاد تشكيلها ضمن نسقٍ عقدي وأخلاقي وتشريعي متكامل، حتى أصبحت ألفاظ العدل ومجالاته تعكس رؤيةً حضاريةً تتجاوز حدود الزمان والمكان.

وقد جسّد الخطاب النبوي هذا البناء القرآني في واقع الحياة، فحوّل العدل من مفهومٍ نظري إلى ممارسةٍ يوميةٍ تتجلى في القضاء، والمعاملة، والأسرة، والاقتصاد، والعلاقات الإنسانية، بل وفي تهذيب النفس وتقويم النية، ليغدو العدل ميزانًا يزن الأقوال والأعمال والنيات، كما يزن الحقوق والواجبات، ويحقق التوازن بين الظاهر والباطن، وبين حق الفرد ومصلحة المجتمع، وبين مطالب الدنيا وآفاق الآخرة.

وعلى هذا الأساس، يسعى هذا التمهيد إلى بيان الأسس الدلالية والمفهومية التي يقوم عليها مفهوم العدل في الخطاب القرآني والنبوي، وتتبع تطور ألفاظه المؤسسة، والكشف عن انتقالها من معانيها اللغوية إلى آفاقها الاصطلاحية والحضارية، تمهيدًا لدراسة تجلياتها في النصوص الشرعية، وإبراز ما تكشف عنه من وحدةٍ عميقةٍ بين نظام الكون، واستقامة الإنسان، وبناء الحضارة في التصور الإسلامي.

المبحث الأول: الدلالة المعجمية والاشتقاقية للعدل والمكيال والميزان

في البدء كانت الكلمة وعاءً للمعنى، ومنها تشكّلت المفاهيم التي صاغت رؤية الإنسان للكون والحياة. ويأتي العدل في صدارة هذه المفاهيم، إذ لم يكن في اللسان العربي مجرد وصفٍ للمساواة أو الإنصاف، بل أصلًا دلاليًا تتفرع عنه معاني الاستقامة، والتوازن، وإعطاء كل ذي حق حقه. ومن هذا الأصل تلتقي ألفاظ المكيال والميزان بوصفهما أداتين لقياس المقادير في ظاهر الاستعمال، ورمزين لإقامة القسط وضبط العلاقات في عمق الدلالة.

ولم يقف الاستعمال العربي عند حدود القياس الحسي، بل ارتقت هذه الألفاظ في الخطاب القرآني والنبوي إلى آفاقٍ أوسع، فأصبحت تعبّر عن نظامٍ إلهي تنتظم به شؤون الكون، وعن معيارٍ أخلاقي تُقاس به الأقوال والأعمال والنيات. ومن ثمّ، فإن دراسة الدلالة المعجمية والاشتقاقية للعدل والمكيال والميزان لا تُراد لذاتها، وإنما للكشف عن الجذور اللغوية التي انبثقت منها الرؤية الإسلامية للعدل، وكيف تحولت هذه الألفاظ من أدواتٍ مادية إلى مفاهيم حضارية تجسد التوازن بين نظام الوجود واستقامة الإنسان.

أولًا: الجذور اللغوية ومجالات الاستعمال في العربية

ينحدر لفظ **المكيال** من الجذر الثلاثي (ك-ي-ل)، وهو في أصل وضعه يدل على **التقدير والمساواة والمقابلة**. جاء في المعاجم أن "الكَيْلَ تقدير الشيء بمقدار مخصوص"[1] فهو فعلٌ يُحيل إلى الضبط، ويُشير إلى إقامة الحدّ بين الإفراط والتفريط. وليس الكيل في عمقه اللغوي مجرّد ملء إناء، بل هو – في بُعده الرمزي – إحكام النسبة بين الشيء ونظيره، حتى يستقيم العدل في التعامل.

أما **الميزان**، فمأخوذ من الجذر (و-ز-ن)، وهو يدل على **الثِّقَل والتقدير بالمعادلة**. والوزن في أصل العربية ليس مجرد معرفة الثقل، بل هو إقامة التعادل بين طرفين، بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر. ومن هنا كان "الميزان" آلةً، ثم صار مبدأً، ثم ترقّى في الخطاب القرآني إلى أن يغدو رمزًا للعدل المطلق.

[1] -Ibn Manẓūr, Muḥammad ibn Mukarram, *Lisān al-ʿArab* (Beirut: Dār Ṣādir, 1414 AH), 11:570.

QUALITATIVE RESEARCH JOURNAL FOR SOCIAL STUDIES
ISSN Online: 3006-4686, ISSN Print: 3006-4678
Volume No: 03 Issue No: 01 (2026)

وقد اتسعت مجالات استعمال هذين اللفظين في العربية، فانتقلا من دائرة الحس إلى آفاق المعنى؛ فصار **المكيال** يُستعار للعدل في العطاء، والميزان يُستعار للإنصاف في الحكم، حتى قال الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾[2] فلم يكن الأمر هنا مقصورًا على الأسواق، بل هو تأسيس لناموسٍ أخلاقيٍّ شامل.

وفي الشعر العربي، انعكس هذا الامتداد الدلالي، إذ قال زهير بن أبي سلمى:

ومَن لا يَذُدْ عن حوضِه بسلاحِه يُهَدَّمْ، ومَن لا يَظْلِمِ الناسَ يُظْلَم[3]

فكأن الشاعر يشير – في عمق المعنى – إلى اختلال الميزان حين يغيب العدل، فيختلّ نظام الحياة.

ثانيًا: الفرق بين الكيل والوزن من حيث الدلالة

إذا كان **الكيل** يُعنى بتقدير الأشياء بحسب الحجم، فإن الوزن يتعلّق بتقديرها بحسب الثقل؛ غير أن الفرق بينهما في الخطاب العربي – ولا سيما القرآني – يتجاوز هذا الحدّ الفيزيائي إلى بُعدٍ دلاليٍّ أعمق.

فالكيل أقرب إلى **ضبط الظاهر**، لأنه يتعامل مع الصورة المحسوسة للأشياء، بينما الوزن أقرب إلى **تقويم الباطن**، إذ يُحيل إلى التوازن الدقيق الذي لا يُدرك إلا بالمقابلة والاعتدال. ومن هنا جاء الجمع بينهما في النصوص الشرعية، ليُشير إلى شمول العدل: ظاهرًا وباطنًا، حسًّا ومعنى.

وقد تجلّى هذا المعنى في السنة النبوية، حيث قال رسول الله ﷺ:

"الكيّلُ مكيالُ أهلِ المدينةِ، والوزنُ وزنُ أهلِ مكةَ"[4]

وهو حديث يُبرز ضبط المعايير، لكنه – في إشراقه الأعمق – يرسّخ مبدأ الاتساق والمرجعية، حتى لا تضطرب موازين الناس.وفي موضع آخر، يتجلّى الميزان في صورته الأخروية، حين تتحوّل الأعمال إلى أوزان، والنيات إلى أثقال، فيقف الإنسان بين يدي ميزانٍ لا يحيف:

"كلمتانِ خفيفتانِ على اللسانِ، ثقيلتانِ في الميزانِ، حبيبتانِ إلى الرحمنِ: سبحانَ اللهِ وبحمدِه، سبحانَ اللهِ العظيمِ" [5]

فهنا يرتقي الميزان من أداة حسية إلى مِعيارٍروحيّ، تُوزن به الكلمات بما تحمل من صدقٍ وإخلاص.

وفي هذا المعنى يقول الإمام الشافعي:

وليسَ يَصحُّ في الأفهامِ شيءٌ إذا احتاجَ النهارُإلى دليل[6]

---

[2] - *Al-A'rāf*, 7:85.

[3] - Zuhayr ibn Abī Sulmā, *Dīwān Zuhayr ibn Abī Sulmā*, ed. Fakhr al-Dīn Qabāwah (Beirut: Dār al-Āfāq al-Jadīdah, 1980), 45.

[4] - Bukhārī, Muḥammad ibn Ismā'īl, *Ṣaḥīḥ al-Bukhārī* (Beirut: Dār Ṭawq al-Najāh, 1422 AH), Kitāb al-Buyū', Bāb al-Kayl 'alā Ahl al-Madīnah, Ḥadīth No. 2177, 3:77.

[5] - Muslim ibn al-Ḥajjāj, *Ṣaḥīḥ Muslim* (Beirut: Dār Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī, n.d.), Kitāb al-Dhikr wa al-Du'ā', Bāb Faḍl al-Tasbīḥ, Ḥadīth No. 2694, 4:2072.

[6] - Shāfi'ī, Muḥammad ibn Idrīs, *Dīwān al-Imām al-Shāfi'ī* (Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, 2005), 32.

QUALITATIVE RESEARCH JOURNAL FOR SOCIAL STUDIES
ISSN Online: 3006-4686, ISSN Print: 3006-4678
Volume No: 03 Issue No: 01 (2026)

إذ يشير إلى أن وضوح الحقّ هو ميزانه، وأن اختلال الفهم هو اختلال في ميزان الإدراك.

وهكذا، يتبيّن أن المكيال والميزان في أصولهما اللغوية ليسا مجرد أداتين، بل هما بنيتان دلاليتان تُؤسّسان لفلسفة العدل في اللسان العربي؛ تبدأ من ضبط المقادير، وتنتهي إلى تقويم الضمائر. فإذا استقام الكيل في الظاهر، واعتدل الوزن في الباطن، انكشف للإنسان سرّ القسط، لا حكمًا يُطبَّق فحسب، بل نورًا يُهتدى به في مسالك الحياة.

المبحث الثاني: المكيال والميزان في الاستعمال القرآني

يتجلّى المكيال والميزان في الخطاب القرآني بوصفهما من المفاهيم المركزية التي تنتقل من دائرة الحسّ المادي إلى فضاء القيم الروحية والتشريعية، حتى يغدو اللفظان إشارتين إلى نظامٍ إلهيٍّ دقيق، به تُضبط حركة الإنسان في الأرض، وتُقوَّم به مسالك العدل في المعاملات والنيات على السواء. فليس ورودُهما في القرآن الكريم ورودًا عابرًا، بل هو تأسيسٌ لميزانٍ كونيٍّ جامع، تتداخل فيه الدلالة التشريعية مع الإشراق الأخلاقي، وتتجاور فيه الصورة الحسية مع المعنى الغيبي.

أولًا: تتبّع ورود اللفظين في القرآن الكريم

ورد لفظ المكيال والميزان في مواضع متعددة من القرآن الكريم، تراوحت بين الأمر الإلهي، والتحذير الوعظي، والتقعيد الأخلاقي، ومن أبرزها قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [7]

وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [8]

فهذه الآيات لا تقف عند حدود التنظيم الاقتصادي، بل تتجاوزها إلى تأسيس رؤيةٍ كونيةٍ للعدل، حيث يصبح الإيفاء بالكيل إقامةً لسنّة الاستقامة في الكون، ويغدو الميزان معيارًا للحق الذي لا يميل.

وفي قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ [9]

يتحوّل الميزان من أداة بشرية إلى قانونٍ كونيٍّ شامل، تُدار به حركة السماء والأرض، في إشارة رمزية عميقة إلى أن العدل ليس تشريعًا بشريًا فحسب، بل هو نظام وجودي يحكم الوجود كله.

ثانيًا: السياقات التشريعية والأخلاقية والكونية

1. السياق التشريعي

في السياق التشريعي، يأتي المكيال والميزان لضبط المعاملات بين الناس، ومنع التطفيف والظلم، كما في قوله تعالى:﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ [10]وهنا يتجلى البعد القانوني الصارم، الذي يجعل من الإخلال بالمكيال انحرافًا أخلاقيًا وتشريعيًا في آنٍ واحد.

2. السياق الأخلاقي

أما في السياق الأخلاقي، فإن الميزان يتحول إلى معيارٍ للضمير الإنساني، حيث لا يُقاس الفعل بظاهره فقط، بل بما يحمله من صدقٍ وإخلاصٍ وعدالة. وفي هذا المعنى تتسع الدلالة لتشمل ميزان القلب قبل ميزان اليد.وقد ورد في

---

7 -*Al-A'rāf*, 7:85.

8 -*Al-Raḥmān*, 55:9.

9 - *Al-Raḥmān*, 55:7.

10 -*Al-Muṭaffifīn*, 83:1.

QUALITATIVE RESEARCH JOURNAL FOR SOCIAL STUDIES
ISSN Online: 3006-4686, ISSN Print: 3006-4678
Volume No: 03 Issue No: 01 (2026)

الحديث الشريف: "المسلمُ مَن سَلِمَ المسلمونَ مِن لسانِه ويدِه"[11] في إشارة إلى أن ميزان الإيمان الحقيقي هو أثره في السلوك، لا مجرد شكله الظاهري.

3. السياق الكوني

وفي السياق الكوني، يتجلّى الميزان بوصفه قانونًا إلهيًا شاملًا، كما في قوله تعالى:﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾[12] فالمعادلة هنا ليست اقتصادية ولا اجتماعية فحسب، بل هي بنية وجودية تحفظ توازن الكون، وتمنع اختلاله.

ثالثًا: البعد الرمزي الصوفي في المكيال والميزان

إذا كان ظاهر النص القرآني يُقيم العدل في المعاملات، فإن باطنه يُقيمه في القلوب. فالمكيال رمزٌ لضبط حدود النفس، والميزان رمزٌ لصفاء السريرة. ومن هنا قال أهل الإشارة: إن لكل إنسان ميزانًا خفيًا يُوزَن به عمله قبل أن يُوزن في الآخرة، وهو ميزان النية والإخلاص.وفي هذا السياق ينسجم المعنى القرآني مع البعد الصوفي الذي يرى أن "العدل الحقيقي" هو اعتدال الداخل قبل الخارج، واستقامة الباطن قبل الظاهر.وكما قال الإمام علي بن أبي طالب:

لا تَظلِمَنَّ إذا ما كُنتَ مُقتدِرًا فَالظُّلمُ مَرجِعُهُ يُفضي إلى النَّدَم[13]

فالشاعر هنا يُقيم ميزانًا أخلاقيًا داخليًا، يجعل العدل قيمةً روحية قبل أن يكون حكمًا اجتماعيًا.يتبين من خلال الاستقراء القرآني أن المكيال والميزان ليسا مجرد أدوات قياس، بل هما نظام دلالي متكامل يجمع بين التشريع والأخلاق والكون، ويحوّل مفهوم العدل من فعلٍ جزئي إلى رؤيةٍ شموليةٍ للوجود. وهكذا يغدو الميزان في القرآن لغةً للكون، والمكيال لغةً للإنسان، وبينهما يُنسج خيط القسط الإلهي الذي لا يميل.

المبحث الثالث: المكيال والميزان في منهاج النبوة

تأتي السنة النبوية المطهّرة امتدادًا عمليًا للمنهج القرآني في ترسيخ مبدأ **العدل في المكيال والميزان**، غير أنّها لا تقف عند حدود التنظيم الظاهري للمعاملات، بل تتجاوز ذلك إلى بناء الإنسان من الداخل، حتى يغدو العدل سلوكًا راسخًا في اليد، ونورًا ساريًا في القلب، وميزانًا قائمًا في الضمير. فالنبي ﷺ لم يكن يعلّم الناس كيف يزنون الأشياء فحسب، بل كيف يزنون أنفسهم قبل أن يزنوا غيرهم، وكيف يستقيم ميزان الظاهر حين يستقيم ميزان الباطن.

أولًا: توجيهات نبوية في ضبط المعاملات

لقد أولت السنة النبوية عناية بالغة بضبط المعاملات المالية والاقتصادية، فجعلت من **الصدق في الكيل والوزن** علامة على الإيمان، ومن الغش والتطفيف علامة على الخلل الأخلاقي والروحي. ومن النصوص الجامعة في هذا الباب قولهﷺ:

"البيِّعانِ بالخِيارِ ما لم يتفرَّقا"[14]

---

[11] - Bukhārī, *Ṣaḥīḥ al-Bukhārī*, Kitāb al-Īmān, Bāb al-Muslim man Salima al-Muslimūn min Lisānihī wa Yadih, Ḥadīth No. 10, 1:12.

[12] - *Al-Ḥadīd*, 57:25.

[13] - ʻAlī ibn Abī Ṭālib, *Dīwān al-Imām ʻAlī* (Beirut: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, 2002), 1:88.

[14] - Bukhārī, *Ṣaḥīḥ al-Bukhārī*, Kitāb al-Buyū‘, Bāb al-Bayyi‘ān bil-Khiyār mā lam Yatafarraqā, Ḥadīth No. 2110, 3:56.

QUALITATIVE RESEARCH JOURNAL FOR SOCIAL STUDIES
ISSN Online: 3006-4686, ISSN Print: 3006-4678
Volume No: 03 Issue No: 01 (2026)

وفي هذا الحديث إشارة إلى مبدأ الشفافية والرضا في المعاملات، وهو أساسٌ من أسس العدل الاقتصادي، إذ لا يقوم الميزان الحق إلا على وضوح الإرادة وصدق التعامل.كما ورد عنه ﷺ قوله: "من غشَّنا فليس منا"[15] وهو نصٌّ قاطعٌ يجعل من الغش خروجًا عن دائرة القيم النبوية، لأن اختلال المكيال ليس مجرد خطأ في الحساب، بل هو انحراف في ميزان الأخلاق.وقد انعكس هذا المعنى في التطبيق العملي للسنة، حيث كان النبي ﷺ يربط بين الإتقان في المعاملة وبين صفاء الإيمان، حتى صار العدل في الكيل صورةً من صور العبادة اليومية.

ثانيًا: إشارات إلى البعد القيمي والروحي

غير أن السنة النبوية لا تقف عند حدود السوق والمعاملة، بل ترتقي بالمفهوم إلى أفقٍ روحيٍّ عميق، حيث يصبح الميزان معيارًا للنية والعمل معًا. فليس الميزان في المنظور النبوي آلةً خارجية فحسب، بل هو ميزان داخلي يُقيمه الإنسان في قلبه قبل أن يُقيمه في يده.

وفي هذا السياق، يقول النبي ﷺ:"إنما الأعمالُ بالنياتِ، وإنما لكلِّ امرئٍ ما نوى"[16] وهذا الحديث يُحوّل الميزان من كونه ماديًا إلى كونه روحانيًا، إذ تُوزن الأعمال بقدر ما تحمله من صدق القصد وإخلاص النية، لا بمجرد صورتها الظاهرة.

ومن هنا يتجلّى البعد الصوفي في السنة، حيث يصبح العدل حالةً قلبية قبل أن يكون إجراءً سلوكيًا، ويغدو الإنسان مطالبًا بأن يُقيم ميزانه الداخلي قبل أن يُقيم ميزان السوق.وفي هذا المعنى قال الحسن البصري: يا ابنَ آدم، إنما أنت أيامٌ، كلما ذهب يومٌ ذهب بعضُك [17] فهو يذكّر بأن ميزان الإنسان الحقيقي هو عمره وأفعاله، لا ما يملكه من أشياء.

ثالثًا: البعد الرمزي الصوفي للمكيال والميزان في السنة

إذا كان القرآن قد جعل الميزان نظامًا كونيًا، فإن السنة جعلته تجربةً إنسانيةً حيّة. فالمكيال في ضوء السنة هو ضبط الظاهر في المعاملة، والميزان هو تهذيب الباطن في النية. وبينهما تتكوّن شخصية المسلم المتوازنة التي لا تطغى فيها المادة على الروح، ولا يغيب فيها القلب عن العمل.وهكذا تتحول السنة إلى مرآةٍ تُعيد تشكيل الإنسان، حتى يصبح العدل فيه عادةً لا تكلفًا، وسجيةً لا تصنّعًا، ونورًا يسري في أقواله وأفعاله.يتضح من خلال استقراء السنة النبوية أن مفهوم المكيال والميزان لم يُترك في دائرة الاقتصاد فحسب، بل جرى توسيعه ليشمل بناء الإنسان أخلاقيًا وروحيًا، بحيث يصبح العدل قيمةً شاملةً تُمارَس في السوق كما تُمارَس في القلب. ومن ثمّ فإن السنة النبوية تُحوّل الميزان من أداةٍ خارجية إلى معيارٍ داخليٍّ يُقوّم السلوك ويهذّب الروح.

رابعا: أثر العدل في استقامة الأسواق – من التوازن الاقتصادي إلى الصفاء الروحي

إنّ الأسواق في التصور الإسلامي ليست فضاءاتٍ مادية فحسب، بل هي ميادين لاختبار القيم؛ فاستقامة السوق مرهونة باستقامة الإنسان. فإذا اعتدل الميزان، سكنت النفوس، وإذا اختل، اضطرب المجتمع بأسره.وقد ورد في السنة النبوية أن النبي ﷺ مرّ على صبرة طعام فأدخل يده فيها، فإذا بلل، فقال:

---

[15] - Muslim, *Ṣaḥīḥ Muslim*, Kitāb al-Īmān, Bāb Qawl al-Nabī ﷺ man Ghashshanā fa Laysa Minnā, Ḥadīth No. 102, 1:99.

[16] - Bukhārī, *Ṣaḥīḥ al-Bukhārī*, Kitāb Bad’ al-Waḥy, Bāb Kayfa Kāna Bad’ al-Waḥy, Ḥadīth No. 1, 1:3.

[17] Ḥasan al-Baṣrī, *Ḥikam wa Mawā‘iẓ al-Ḥasan al-Baṣrī* (Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 2001), 1:45.

QUALITATIVE RESEARCH JOURNAL FOR SOCIAL STUDIES
ISSN Online: 3006-4686, ISSN Print: 3006-4678
Volume No: 03 Issue No: 01 (2026)

«ما هذا يا صاحب الطعام؟» قال: أصابته السماء يا رسول الله. فقال ﷺ:"أفلا جعلته فوق

الطعام كي يراه الناس؟ من غشّنا فليس منا"[18]

وهذا الموقف النبوي يُحوّل السوق إلى ساحة أخلاقية، لا تُقاس فيها السلع فقط، بل تُقاس فيها القيم، ويُكشف فيها صدق الإنسان من زيفه.

المبحث الرابع: الميزان بوصفه نظامًا كونيًا وتشريعيًا

ليس الميزان في التصور القرآني والنبوي مجرد أداةٍ لقياس الأثقال، بل هو نظامٌ كونيٌّ شامل تتجلّى فيه حكمة الخالق في انتظام الوجود، كما يتجلّى في التشريع الإلهي الذي يُقوّم سلوك الإنسان ويضبط حركته في الحياة. فهو خيطٌ نورانيٌّ ممتدٌّ بين السماء والأرض، يربط بين قوانين الكون الصامتة وموازين الإنسان الناطقة، حتى يبدو العدل في الإسلام بنيةً واحدةً لا تتجزأ، ظاهرها انتظام المعاملة، وباطنها استقامة الروح.

أولًا: الربط بين ميزان الكون وميزان الإنسان

يُشير القرآن الكريم إلى هذا الامتداد الكوني للميزان في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾[19]

فهنا يتجلّى الميزان بوصفه قانونًا كونيًا سابقًا لوجود الإنسان، به تنتظم السماوات، وتستقيم المجرّات، وتتحقق دقّة التوازن في الخلق. ثم ينتقل الخطاب من الكون إلى الإنسان، ليؤكّد أن هذا النظام الإلهي ليس بعيدًا عن سلوك البشر، بل هو معيارٌ أخلاقيٌّ وتشريعيٌّ يُلزِمهم بعدم الطغيان في كل صور التعامل.وهكذا يُقيم الخطاب القرآني علاقةً عجيبة بين "ميزان الطبيعة" و"ميزان الشريعة"، بحيث يصبح اختلال العدل في الأرض انعكاسًا لاختلال إدراك الإنسان لهذا النظام الكوني المتوازن.وفي السنة النبوية، يتجلّى هذا المعنى في حديثٍ يُحوّل الميزان إلى قيمةٍ إنسانية شاملة، حيث قال ﷺ:

"الراحمون يرحمهم الرحمن"[20]

فهذا الحديث يربط بين الرحمة الإلهية والرحمة الإنسانية، في إشارةٍ إلى أن ميزان الكون قائم على التراحم والتوازن، لا على الفوضى أو الجور.كما قال ﷺ في معنى جامع: "إن الله كتب الإحسان على كل شيء"[21] وهذا يُظهر أن الإحسان هو صورة من صور "الميزان الكوني"، حيث لا يُترك شيء بلا تقدير، ولا يُفعل شيء خارج دائرة الاتزان الإلهي.

ثانيًا: دلالات الاتزان في التشريع

إنّ التشريع الإسلامي في جوهره ليس مجموعة أحكام متفرّقة، بل هو منظومة ميزانية دقيقة تُراعي التوازن بين الحقوق والواجبات، وبين الفرد والمجتمع، وبين المادة والروح. فكل حكمٍ شرعي يحمل في داخله ميزانًا خفيًا يضبط العلاقة

[18] - Bukhārī, *Ṣaḥīḥ al-Bukhārī*, Kitāb al-Buyū‘, Bāb man Ghashsha fa Laysa Minnā, Ḥadīth No. 2150, 3:72.

[19] - *Al-Raḥmān*, 55:7-8.

[20] - Bukhārī, *Ṣaḥīḥ al-Bukhārī*, Kitāb al-Tawḥīd, Bāb Qawl Allāh Ta‘ālā {wa Raḥmatī Wasi‘at Kulla Shay’}, Ḥadīth No. 7376, 9:105.

[21] - Muslim, *Ṣaḥīḥ Muslim*, Kitāb al-Ṣayd wa al-Dhabā’iḥ, Bāb al-Amr bi Iḥsān al-Dhabḥ wa al-Qatl, Ḥadīth No. 1955, 3:1548.

QUALITATIVE RESEARCH JOURNAL FOR SOCIAL STUDIES
ISSN Online: 3006-4686, ISSN Print: 3006-4678
Volume No: 03 Issue No: 01 (2026)

بين الأطراف، ويمنع الطغيان أو الإفراط أو التفريط.وقد عبّر القرآن عن هذا المعنى في مواضع متعددة، منها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾[22] فالميزان هنا ليس أداة مادية، بل هو "روح التشريع" الذي يضبط مسار العدالة في المجتمعات، ويمنع انحرافها عن جادّة الحق.وفي هذا السياق، تتجلّى السنة النبوية كامتداد عملي لهذا الميزان، حيث كان النبي ﷺ يُقيم العدل في أدق تفاصيل الحياة، حتى في الطعام والشراب والمعاملة، ليعلّم الأمة أن الاتزان ليس مبدأً نظريًا، بل سلوك يوميّ شامل.وفي هذا المعنى، يقول الإمام الشافعي:

إذا ما المرءُ لم يَزِنِ الأمورَ بعقلِه تهاوى في مهاوي الجهلِ لا يتقدّم [23]

فالشاعر هنا يُحوّل "الميزان" إلى رمزٍ للعقل التشريعي الذي به تُدرك القيم وتُضبط الأفعال.

ثالثًا: البعد الرمزي الصوفي للميزان

في القراءة الإشارية، لا يقف الميزان عند حدّ الظاهر، بل يتجاوز إلى الداخل، حيث يصبح ميزان القلب أعمق من ميزان اليد، وميزان النية أصدق من ميزان المادة. فكل إنسان يحمل في داخله ميزانًا خفيًا تُوزن به أعماله قبل أن تُعرض على ميزان الآخرة.ومن هنا، يغدو الميزان في التصور الصوفي رمزًا **للاعتدال الروحي**، حيث لا إفراط في الدنيا ولا تفريط في الآخرة، بل سيرٌ بينهما على صراطٍ مستقيم.يتبيّن أن الميزان في الإسلام ليس مفهومًا جزئيًا، بل هو **نظام كوني وتشريعي** متكامل، يمتد من انتظام السماوات إلى استقامة القلوب، ومن حركة الذرّة إلى سلوك الإنسان. وبهذا يتحول الميزان إلى لغةٍ إلهية جامعة، تُعلن أن العدل ليس فكرةً بشرية، بل هو قانون وجودي يسري في كل شيء.

المبحث الخامس: القسط الباطني – العدل مع النفس والآخرين

إنّ القسط الباطني هو الوجه الأعمق للعدل في التصور الإسلامي، إذ لا يقف عند حدود المعاملة الظاهرة، بل يمتد إلى أعماق النفس الإنسانية، حيث تُصاغ الأخلاق في محراب الضمير، وتُوزن الأفعال بميزانٍ خفيٍّ لا يراه الناس، ولكنه حاضرٌ في رقابة الله تعالى على السرائر. فليس العدل في الإسلام سلوكًا اجتماعيًا فحسب، بل هو حالةٌ وجودية تبدأ من الداخل، حيث يُقوّم الإنسان نفسه قبل أن يُقوّم غيره، ويزن قلبه قبل أن يزن أفعاله.

أولًا: محاسبة النفس – ميزان اليقظة الداخلية

تُعدّ **محاسبة النفس** أولى درجات القسط الباطني، إذ بها يتحوّل الإنسان من غفلة العادة إلى يقظة المراقبة، ومن اندفاع الشهوة إلى نور البصيرة. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى العميق في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [24] فهذه الآية تُقيم ميزانًا داخليًا دائمًا، يجعل النفس في حالة مراجعة مستمرة لأعمالها، وكأنها تقف أمام محكمةٍ روحيةٍ لا تغيب عنها الحقيقة.وفي الحديث النبوي الشريف، يتجلى هذا المعنى في قوله ﷺ:

"الكَيِّسُ مَن دانَ نفسَهُ وعملَ لما بعدَ الموتِ، والعاجزُ مَن أتبعَ نفسَهُ هواها وتمنّى على اللهِ الأماني" [25]

فالنبي ﷺ يجعل من "محاسبة النفس" معيارًا للعقل الروحي، حيث لا يُقاس الإنسان بذكائه الظاهري، بل بقدرته على وزن نفسه ومراقبتها.وفي هذا السياق، يقول عمر بن الخطاب: "حاسِبوا أنفسَكم قبل أن تُحاسَبوا، وزِنوا

---

22 - *Al-Ḥadīd*, 57:25.

23 - Shāfi'ī, *Dīwān al-Imām al-Shāfi'ī*, 1:32.

24 - *Al-Ḥashr*, 59:18.

25 -Tirmidhī, Muḥammad ibn 'Īsā, *Sunan al-Tirmidhī* (Beirut: Dār al-Gharb al-Islāmī, n.d.), Kitāb Ṣifat al-Qiyāmah, Bāb Muḥāsabat al-Nafs, Ḥadīth No. 2459, 4:638.

QUALITATIVE RESEARCH JOURNAL FOR SOCIAL STUDIES
ISSN Online: 3006-4686, ISSN Print: 3006-4678
Volume No: 03 Issue No: 01 (2026)

أعمالَكم قبل أن تُوزَن عليكم[26]وهذا القول يُجسّد أعلى درجات القسط الباطني، حيث يصبح الإنسان قاضيًا على نفسه قبل أن يُقاضى.

ثانيًا: الإخلاص والصدق كأوزان روحية

إذا كانت محاسبة النفس هي بداية الطريق، فإن **الإخلاص والصدق** هما ميزان هذا الطريق وروحه. فالإخلاص هو تصفية العمل من شوائب الرياء، والصدق هو مطابقة الظاهر للباطن، حتى يغدو الإنسان وحدةً متكاملة لا انفصام فيها بين ما يظهره وما يُبطنه.وقد عبّر النبي ﷺ عن مركزية النية في ميزان الأعمال بقوله: «إنما الأعمالُ بالنياتِ، وإنما لكلِّ امرئٍ ما نوى" [27]فهذا الحديث يُحوّل "الميزان" من كونه ماديًا إلى كونه روحيًا، حيث تُوزن الأعمال بصدق القصد لا بكثرة الفعل، وبصفاء النية لا بضخامة الظاهر.وفي حديثٍ آخر، يُؤكّد النبي ﷺ على قيمة الصدق بوصفه أساسًا للنجاة، حيث قال:

«عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر" [28]

فالصادق هو من استقام ميزانه الداخلي، فلم يختل فيه القول عن الفعل، ولا النية عن السلوك.وفي الشعر العربي، يقول الإمام علي بن أبي طالب:

إذا لم يكن في القولِ صدقٌ يُصدّقهُ فكلُّ كلامِ المرءِ زورٌوباطل[29]

فالشاعر هنا يجعل من الصدق "ميزانًا وجوديًا" يُقاس به صدق الإنسان نفسه.

ثالثًا: القسط الباطني كتحققٍ للعدالة الروحية

إنّ القسط الباطني في جوهره هو انتقالٌ من عدلٍ خارجي إلى عدلٍ داخلي، حيث لا يكون الإنسان عادلًا فقط في معاملته للناس، بل عادلًا أيضًا مع نفسه، فلا يظلمها بالشهوات، ولا يخدعها بالأوهام، ولا يتركها رهينةً للهوى.وهذا المستوى من العدل هو الذي يُنتج شخصيةً متوازنة، يكون فيها القلب ميزانًا حيًا، والعقل ضابطًا للسلوك، والنية معيارًا لكل فعل.يتّضح أن القسط الباطني هو ذروة البناء الأخلاقي في الإسلام، إذ ينقل مفهوم العدل من حيز التشريع الظاهر إلى فضاء التزكية الداخلية، حيث تصبح النفس ساحةً دائمة للمحاسبة، والنية ميزانًا للأعمال، والصدق معيارًا للوجود الإنساني. وهكذا يتحقق العدل في أعمق صوره: عدل الإنسان مع نفسه قبل عدله مع غيره.

المبحث السادس: الانسجام بين المبنى والمعنى في خطاب العدل

إنّ **الانسجام بين المبنى والمعنى** في الخطاب القرآني والنبوي يمثل ذروة الإعجاز البلاغي، حيث لا تكون اللغة مجرد وعاءٍ للمعنى، بل تتحول إلى بنيةٍ حيّةٍ تتطابق فيها الألفاظ مع المقاصد، والتراكيب مع القيم، والإيقاع مع الروح. وفي خطاب العدل خاصةً، يتجلّى هذا الانسجام بوصفه "هندسةً لغوية" دقيقة، تجعل من المكيال والميزان ليسا مفردتين

---

26 - ʻUmar ibn al-Khaṭṭāb, *Al-Zuhd wa al-Mawāʻiẓ al-Mansūbah ilā ʻUmar ibn al-Khaṭṭāb* (Beirut: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, 2003), 1:22.

27 - Bukhārī, *Ṣaḥīḥ al-Bukhārī*, Kitāb Bad' al-Waḥy, Ḥadīth No. 1, 1:3.

28 - Muslim, *Ṣaḥīḥ Muslim*, Kitāb al-Birr wa al-Ṣilah, Ḥadīth No. 2607, 4:2013.

29 - ʻAlī ibn Abī Ṭālib, *Dīwān al-Imām ʻAlī*, 1:61.

QUALITATIVE RESEARCH JOURNAL FOR SOCIAL STUDIES
ISSN Online: 3006-4686, ISSN Print: 3006-4678
Volume No: 03 Issue No: 01 (2026)

لغويتين فحسب، بل نظامًا دلاليًا متكاملًا يعكس عدل التشريع وسموّ الأخلاق.فالمبنى في النص القرآني ليس محايدًا، بل هو حاملٌ للمعنى، وموجِّهٌ له، ومكثّفٌ لدلالته، بحيث يصبح كل اختيارٍ لغوي جزءًا من بناء العدالة في الوعي الإنساني.

أولًا: كيف يخدم البناء اللغوي الفكرة الأخلاقية

إنّ البناء اللغوي في القرآن الكريم يقوم على تناسقٍ دقيق بين الشكل والمضمون، حيث تُختار الألفاظ، وتُرتّب التراكيب، وتُصاغ الجمل بطريقة تُجسّد المعنى الأخلاقي المراد، لا بوصفه فكرةً مجردة، بل تجربةً شعوريةً ومعرفيةً متكاملة.ففي قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ﴾ [30] نجد أن ترتيب الكلمات ليس اعتباطيًا؛ فالفعل "أوفوا" جاء في الصدارة ليُؤسس لفعلٍ أخلاقيٍّ شامل، ثم جاء "الكيل والميزان" بوصفهما مجال التطبيق، ثم خُتم بـ"القسط" بوصفه الغاية العليا. هذا التدرّج البنائي يُحوّل الجملة إلى سُلّمٍ أخلاقيٍّ تصاعدي من الفعل إلى القيمة.وهكذا يصبح المبنى اللغوي جزءًا من المعنى الأخلاقي، لا مجرد إطارٍ له.

ثانيًا: الإيقاع القرآني بوصفه تجسيدًا للعدل

يتجلّى الانسجام أيضًا في الإيقاع الصوتي الذي يرافق خطاب العدل، حيث تتكرر الأصوات وتتناغم الفواصل بطريقة تُحدث أثرًا نفسيًا يرسّخ المعنى في الوجدان.ففي سورة الرحمن، يتكرر لفظ "الميزان" في سياقٍ إيقاعيٍّ متوازن، يعكس في ذاته فكرة التوازن التي يتحدث عنها النص، وكأن الصوت نفسه يُجسّد العدل.وفي السنة النبوية، نجد هذا الانسجام بين اللفظ والمعنى في قوله ﷺ:

"المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ يشدُّ بعضُه بعضًا" [31]

فالتشبيه بالبنيان هنا ليس مجرد صورة بلاغية، بل هو بناءٌ لغويٌّ محكم يُجسّد معنى التماسك الاجتماعي، حيث يصبح التركيب اللغوي نفسه نموذجًا للترابط الأخلاقي.

ثالثًا: الشعر بوصفه شاهدًا على انسجام المبنى والمعنى

وقد انعكس هذا الانسجام في الشعر العربي، حيث يقول أبو الطيب المتنبي:

على قدرِ أهلِ العزمِ تأتي العزائمُ وتأتي على قدرِ الكرامِ المكارم [32]

ففي هذا البيت، يتطابق المبنى مع المعنى في تناغمٍ دقيق، حيث يخدم التكرار والترتيب الإيقاعي فكرة العدل في توزيع الفضل والكرامة.

رابعًا: البعد الصوفي للانسجام اللغوي

30 - *Al-An'ām*, 6:152.

31 - Bukhārī, *Ṣaḥīḥ al-Bukhārī*, Kitāb al-Adab, Bāb al-Tawāḍu', Ḥadīth No. 6011, 8:10.

32 - Mutanabbī, Aḥmad ibn al-Ḥusayn, *Dīwān al-Mutanabbī* (Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, n.d.), 2:98.

QUALITATIVE RESEARCH JOURNAL FOR SOCIAL STUDIES
ISSN Online: 3006-4686, ISSN Print: 3006-4678
Volume No: 03 Issue No: 01 (2026)

في الرؤية الصوفية، لا يُفهم الانسجام بين المبنى والمعنى بوصفه ظاهرةً بلاغية فحسب، بل بوصفه تجلّيًا لوحدة الوجود اللغوي، حيث الكلمة ليست صوتًا فقط، بل نورٌ يُشير إلى الحقيقة.فكل لفظٍ في خطاب العدل يحمل في داخله "ميزانًا خفيًا"، يربط بين الظاهر والباطن، وبين الشكل والمضمون، وبين اللغة والروح.يتبيّن أن الانسجام بين المبنى والمعنى في خطاب العدل ليس مجرد خاصية أسلوبية، بل هو جوهر البلاغة القرآنية والنبوية، حيث تتكامل اللغة مع القيمة، ويتوحد الشكل مع المضمون، ليصبح النص خطابًا أخلاقيًا وجماليًا وروحيًا في آنٍ واحد، يُعيد تشكيل وعي الإنسان بالعدل بوصفه نظامًا لغويًا ووجوديًا شاملًا.

الخاتمة

* بعد رحلةٍ علميةٍ في رحاب النص القرآني والبيان النبوي، تبيّن أن المكيال والميزان ليسا مجرد مصطلحين مرتبطين بالتبادل الاقتصادي أو المعاملات التجارية، بل يمثلان منظومةً مفاهيميةً متكاملةً تشكّل إحدى الركائز الكبرى في البناء الحضاري والأخلاقي للإسلام. فقد انتقل هذان اللفظان من دلالتهما الحسية المرتبطة بالقياس والتقدير إلى آفاقٍ أوسع تتصل بالعدل الكوني، والاستقامة التشريعية، والتوازن الأخلاقي، والتزكية الروحية.
* وقد كشف الاستقراء النصي أن القرآن الكريم جعل الميزان قانونًا يحكم انتظام الوجود، كما جعله معيارًا لضبط العلاقات الإنسانية، بينما جاءت السنة النبوية لتجسد هذا المفهوم في واقع الحياة، فتربط بين صدق المعاملة وصفاء النية، وبين عدالة الظاهر واستقامة الباطن.
* كما أظهر البحث أن العدل في التصور الإسلامي لا يقتصر على إقامة الحقوق بين الناس، بل يمتد إلى محاسبة النفس وتقويمها، حتى يصبح الإنسان نفسه ميزانًا للحق، وساعيًا إلى تحقيق القسط في أقواله وأفعاله وعلاقاته كافة.
* ومن ثمّ فإن المكيال والميزان في المنظور القرآني والنبوي يشكلان رؤيةً حضاريةً شاملةً تؤسس لمجتمع متوازن، يقوم على العدل والإحسان والرحمة، وينطلق من انسجام الإنسان مع نفسه وربه والكون من حوله.

النتائج

* أثبتت الدراسة أن مصطلحي المكيال والميزان في القرآن الكريم يتجاوزان المعنى الحسي إلى دلالات تشريعية وأخلاقية وروحية واسعة.
* كشفت النصوص القرآنية عن ارتباط وثيق بين المكيال والميزان ومفهوم العدل، حتى أصبحا من أبرز رموزه التعبيرية في الخطاب القرآني.
* بيّنت الدراسة أن الميزان في القرآن لا يقتصر على المعاملات الاقتصادية، بل يمثل نظامًا كونيًا يحكم انتظام الوجود واستقامة الحياة.
* أوضحت السنة النبوية البعد العملي لمفهوم الميزان من خلال ربطه بالصدق والأمانة والإحسان ومحاسبة النفس.

QUALITATIVE RESEARCH JOURNAL FOR SOCIAL STUDIES
ISSN Online: 3006-4686, ISSN Print: 3006-4678
Volume No: 03 Issue No: 01 (2026)

* أظهرت الدراسة أن مفهوم القسط الباطني يمثل امتدادًا روحيًا لمفهوم الميزان، حيث تُوزن النيات والأعمال قبل أن تُوزن المعاملات الظاهرة.
* كشفت الدراسة عن وجود انسجام بلاغي بين المبنى اللغوي والمعنى الأخلاقي في الآيات والأحاديث المتعلقة بالمكيال والميزان، مما يعمّق أثرها التربوي والدلالي.
* أسهمت القراءة الدلالية والإشارية للنصوص في إبراز الأبعاد الحضارية والإنسانية لمفهوم العدل في الإسلام.

التوصيات :

* توسيع الدراسات القرآنية الدلالية المتعلقة بالمفاهيم القيمية الكبرى، مثل العدل والقسط والإحسان والرحمة، للكشف عن أبعادها الحضارية المعاصرة.
* تشجيع الدراسات البينية التي تربط بين التفسير القرآني واللسانيات الحديثة وتحليل الخطاب لفهم أعمق للمصطلحات القرآنية.
* الإفادة من مفهوم الميزان في بناء مناهج التربية الأخلاقية والتزكية الروحية في المؤسسات التعليمية.
* إجراء دراسات مقارنة بين مفهوم العدل في القرآن الكريم والنظم الفكرية والفلسفية المعاصرة لإبراز الخصوصية الحضارية للرؤية الإسلامية.
* توظيف القيم المستنبطة من آيات المكيال والميزان في تعزيز أخلاقيات الاقتصاد والتجارة والإدارة في المجتمعات الإسلامية.
* العناية بالبعد البلاغي والجمالي في الدراسات القرآنية؛ لما له من أثر في تعميق فهم المقاصد الشرعية والقيم الإنسانية.
* الدعوة إلى بناء مشاريع بحثية متخصصة في "المعجم القيمي للقرآن الكريم" تُعنى برصد المفاهيم المركزية وتحليل تطورها الدلالي ووظائفها الحضارية.

کتابیات

* ʻAlī ibn Abī Ṭālib. Dīwān al-Imām ʻAlī. Vol. 1. Beirut: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, 2002.
* Al-Bukhārī, Muḥammad ibn Ismāʻīl. Ṣaḥīḥ al-Bukhārī. Vols. 1, 3, 8, 9. Beirut: Dār Ṭawq al-Najāh, 1422 AH.
* Ḥasan al-Baṣrī. Ḥikam wa Mawāʻiẓ al-Ḥasan al-Baṣrī. Vol. 1. Beirut: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, 2001.
* Ibn Manẓūr, Muḥammad ibn Mukarram. Lisān al-ʻArab. Vol. 11. Beirut: Dār Ṣādir, 1414 AH.
* Al-Mutanabbī, Aḥmad ibn al-Ḥusayn. Dīwān al-Mutanabbī. Vol. 2. Beirut: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, 2000.
* Muslim ibn al-Ḥajjāj. Ṣaḥīḥ Muslim. Vols. 1, 3, 4. Beirut: Dār Iḥyā’ al-Turāth al-ʻArabī, 2000.
* Al-Shāfiʻī, Muḥammad ibn Idrīs. Dīwān al-Imām al-Shāfiʻī. Beirut: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, 2005.
* Al-Tirmidhī, Muḥammad ibn ʻĪsā. Sunan al-Tirmidhī. Vol. 4. Beirut: Dār al-Gharb al-Islāmī, 1998.
* ʻUmar ibn al-Khaṭṭāb. Al-Zuhd wa al-Mawāʻiẓ al-Mansūbah ilā ʻUmar ibn al-Khaṭṭāb. Vol. 1. Beirut: Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, 2003.